

كتاب الفاشوش

هذا الكتاب أقدم الكتب
الفكهة فى تاريخ مصر العربية،
وقد ألفه ابن ممتى صاحب ديوان
الجيش والمال لعهد صلاح الدين،
أو كما نقول نحن الآن وزير المالية
والحرية. وكان آباؤه من نصارى

أسيوط نزحوا إلى القاهرة فى عهد الفاطميين واتصلوا بهم وفوضوا إليهم كثير
من شؤونهم وأعمالهم. فلما قدم صلاح الدين وعمه أسد الدين شيركوه من قبل
نور الدين، وأصبح إليهما أمر مصر اضطهدا موظفى الدولة من القبط
واضطرت أسرة ابن ممتى تحت تأثير هذا الاضطهاد أن تسلم حتى تحتفظ
بمكانتها فى الدولة، واستقام لها ذلك؛ فإن صلاح الدين قرب منه المهذب ممتى.
وجعله قيما على ديوان الجيش، فلما توفى خلفه ابنه فى عمله، ثم أسندت إليها
الشؤون المالية فأحسن تدبيرها وتصريفها.

وقد اشتهر ابن ممتى فى عصره بسرعة البديهة واللذع فى النادرة: يقول
ياقوت عنه فى كتابه «معجم الأديباء»: إنه كان ذا خاطر وقاد مسارع. ويقول
أيضا: إن له نوادر حسنة حادة. وقد تعلقت هذه الشخصية الفكهة بشخصيا
أخرى عاصرتها، هى شخصية قراقوش الزكى أحد قواد صلاح الدين
وأصفيائه، وكان فيه - على ما يظهر - شى من الغباء والغفلة والشدة
والقسوة، ومع ذلك كان صلاح الدين يسلم إليه مقاليد مصر حين يغيب عنها
فى حروبه الصليبية، وهو الذى قام على بناء قلعة الجبل المعروفة بقلعة صلاح
الدين. ويحدثنا الرواة أن صلاح الدين كان يُشرك معه بعض أولاده فى إدارة